

ما هي غلطتك الأولى ... يا فخامة الرئيس؟!

أنه من أحجار صغيرة يتكون الهرم، ومن ذرات لا نهاية لها يتكون الجبل ... فكذلك الشخصية الإنسانية تتكون من كلمات وأهداف، وكلما كانت الشخصية كبيرة كانت جوانبها متعددة.

وليس أحد كبيراً دائماً ولا صغيراً دائماً، ولا عاقلاً كل الوقت. ولا هو غاضب أيضاً وكلما كان الضوء قوياً كانت الظلال قوية.. ومهما كان مفتوحاً مثل الكتاب، فلا يوجد كتاب ليست به صفحتان ملتصقتان..

ولم يحدث أن سار أحد إلى جوار البحر، دون أن ينحنى على الأرض يلتقط ظلطة يرمى بها البحر.. وكذلك حالنا مع الزعماء ومع أحجار الشواطئ.. والمسيح عليه السلام كان حكيماً عندما رأى أهل القدس يهاجمون مريم المجدلية وسلوكها الاجتماعي . فقال عبارته المشهورة: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر!

ولم تمتد الأيدي إلى الأرض لأن الأحجار قد إختفت بمعجزة في تلك اللحظة. ولكن لأنه لا أحد بلا خطيئة!

وقد يكون أقرب الناس إلى الزعيم أبعدهم عن رؤيته وفهمه .. ويكون أبعدهم أوضحهم . ويكون أقربهم أكثر حبا، ويكون أبعدهم أكثرهم قسوة وفي التاريخ رأينا أتفه الكتب هي التي أصدرها أقارب العظماء : زوجة تشرشل وأبنته .. زوجة همنجواي وأخوه .. وأبنة اندريه جيد .. زوجة تولستوى .. أبنة ستالين .. زوجة شاه ايران زوجة هـ. لورانس زوجة سقراط .. ابنة موسوليني .. ابن روميل .. أخوات وأخوة نابليون ..

ولكن كما يحدث في اللوحات التأثيرية: نمد نقطة إلى جوار نقطة فيتكون منها خط .. وكما يحدث في الإرسال التلفزيونى : ما لا نهاية له من النقط تنطلق بسرعة الضوء..

فهذه النقط وهذه الحكايات والنوادر وإن لم تتكون منها كل الصور فهي محاولة تخطيط لذلك ..

أما الصورة الصادقة والتمثال المعبر للزعيم، فلم يأت أوانه بعد .. فليس قبل أن يتحرر التراث من القيود، والقلم من الجرح، ويسكن الغبار وتنخفض درجات حرارة المحبين والكارهين، وإذا كان الزمن يمضى مسرعا بالشعوب، فإنه يخدم الزعماء .. ويضيف إليهم أعماقا وعطراً .. وقد أعتادت الشعوب ألا تأكل الثمار على الأشجار.

فالشعوب تفضل الفاكهة بعد أن سقطت على الأرض وتبدلت ألوانها وطعمها فيكون الإقبال على هذه الفاكهة نوعاً من التفضل عليها.. فالشعوب تفضل أن تحيي ذكرى الزعماء - أى أن تعطيها الحياة . وهذا يرضى غرورها.. فالاعتراف بفضل الأحياء لا يعطيها دوراً كبيراً وإنما الاحتفال بالذين ذهبوا يجعل للشعوب دور المعجزة: إحياء الموتى...

فإليك هذه النقطة البيضاء والسوداء، هذه الظلال والأضواء ..

ومشينا ألف كيلو متر !

قبلت الرئيس أنور السادات أكثر من ٢٥ مرة ومشيت معه أكثر من ألف كيلو متر فقد كان من عادته بعد أن نفرغ من الحديث معاً أن يتمشى أربع كيلو مترات صيفاً وشتاءً خارج البيت أو فى داخل البيت.

فى بيته فى الجزيرة كنا نتمشى فى مساحة صغيرة جداً ندور حول الأشجار وتحتها..

وفى إستراحة القناطر عندما تمطر السماء أو تهب الرياح، كنا نتمشى فى داخل البيت .. وفى مفاوضات كامب دافيد طلب منى الرئيس السادات أن أذهب إليه لنتمشى .. ولم أتمكن من الدخول لأننى لم أكن قد حصلت على المخابرات الأمريكية على الشارة التى توضع على الصدر ولم أشأ أن أجعلها مشكلة . وعندما سألتنى الرئيس بعد ذلك قلت: لقد كنت مزكوماً يا سيادة الرئيس وكان من عادة الرئيس السادات أن يشرب قبل المشى كوباً من الماء البارد مع أملاح الفواكهة الفوارة. وقد نصحه بذلك أحد الأطباء الألمان. وقال : أن هذا الملح الفوار يساعد على راحة المعدة ويساعد أيضاً على تذويب الدهون من الجسم.

وكان يرحمه الله حريصاً جداً فى طعامه وشرابه وملابسه أيضاً وهو يعرف أين مكان جميع ملابسه وأين وضعها هو فكان يقول لخادمه هات البنطلون الأبيض والجورب الذى ارتديته أول أمس .. والحذاء الموجود إلى جوار الباب عند يدك اليسرى .. وهكذا..

وأذكر أن المهندس مشهور أحمد مشهور قد أعد غداء للرئيس السادات فى إستراحة جزيرة الفرسان. ودعانا الرئيس إلى الغداء سيد مرعى وعثمان أحمد عثمان ومشهور أحمد مشهور وأنا .. وجلس الرئيس على المائدة وكان الطعام دسماً: أبرمه بالأرز واللحم والسمك وكان السمن قد غطى كل شىء.

ولم يكن من السهل على أحد منا أن يأكل ذلك وكعادة الرئيس فإنه لا يتناول غداء .. وإنما يتناول العشاء فقط فهو يأكل وجبة واحدة فى كل يوم .

وفى الليل دعانى لأشاركه فى العشاء مع عثمان أحمد عثمان . وجاء الطعام غريباً حقاً طبق سلطة صغيرة وجبن داخل الفرن على قطع من الخبز وقطعة لحمة واحدة لكل منا ولا أذكر إن كانت هناك فاكهة..

وانتهى العشاء وقلت للرئيس : يا سيادة الرئيس هل هذا هو العشاء الذى من أجله يكافح الإنسان طول عمره؟

قال : قصدك إليه ؟

قلت : من أجل هذا يحرص الإنسان على أن يكون رئيس جمهورية.

قال : تريد أن تقول إن الطعام على مائدة الرئيس لا يعجبك!

قلت : نعم

قال : سامع بما عثمان .. إن هذه المائدة لا تعجبه .. إذن فسوف أحكم عليك بالغداء والعشاء كل يوم

هنا !

موشى ديان المزيف!

كنا فى مطار أسوان فى انتظار شاه إيران خارجاً من بلاده .. وفى المطار قال الرئيس حسنى مبارك وكان نائباً للرئيس فى الوقت، هل تعرف أن مثل هذه الحادثة التى رويتها أنت لسكرتيرى عبد الوهاب زكى قد حدثت لى أنا شخصياً . فقد اتصلت بى الدكتورة آمال عثمان وقالت لى : إن السيدة التى بعثت بها إليها قد انتهت مشكلتها.

ولم أكن قد أرسلت إلى الدكتورة آمال عثمان أحداً فطلبت إليها أن تمسك هذه السيدة وأمكن إلقاء القبض على هذه السيدة.

أما الحادثة فهى أن رجلاً أذى أنه من سكرتارية السيد نائب رئيس الجمهورية وطلب إليها أن تصرف معاشاً استثنائياً لإحدى المواطنات. وذهبت السيدة إلى الوزيرة ونظرت الوزيرة فى مشكلتها وحلتها . واتصلت بالسيد النائب وأخبرته بذلك .. وقد كشف التحقيق أن رجلاً فى شبرا قد استأجر غرفة بها تليفون وتمكن من الاتصال بالوزراء واحداً واحداً مدعياً أنه من سكرتارية نائب رئيس الجمهورية وكان ما يملكه هذا الرجل هو التليفون وهذه المرأة!

وفى الليل قابلت الرئيس السادات فى فندق أوبروى. وقال لى إن موشى ديان قد حكى له قصة مماثلة فى كامب دافيد فقد روى ديان أن رجلاً له ملامح ديان ذهب إلى عدد كبير من أصحاب الملايين

اليهود فى أمريكا وأوروبا وطلب إليهم أن يساعده على بناء متحف للتحف الأثرية التى جمعها، موسى ديان، ونجح هذا النصاب فى أن يحصل على ثلاثة ملايين دولار واختفى.

وبعد سنوات اتصل موسى ديان المزيف تليفونيا قائلاً : أريد أن أشكرك فأسأله ديان: على ماذا؟

قال الرجل : على الملايين التى بدأت بها حياتى والتى أصبحت الآن مائتى مليون دولار..

ثم روى له القصة..

وقال لى الرئيس السادات: إن شاه إيران رغم ذكائه الشديد، ورغم الحرس الحديدى والمخابرات المدربة فوجيء بأن أحد الخدم فى صره يزور إمضاءه وأنه ضبط فى اللحظة التى حاول فيها سرقة أحد التيجان من المتحف الملكى بطهران!

كان الرئيس السادات سعيداً جداً باستضافة الشاه فى مصر: وكان يعلم أن إيواء الشاه سوف يسبب له مشاكل مع الثورة الإيرانية .. وسوف يتساءل الناس: مالنا ومتاعب هذا الرجل الذى ذهب بفساده إلى غير رجعة.

قال لى الرئيس السادات: إن مصر سوف تأوى ملكاً ميتاً .. إنه فى حكم الميت .. إنه ميت جاء يطلب قبراً فى مصر .. فكيف نضيق به والرجل قد ساعدنا كثيراً.. مستحيل أن أتردد لحظة فى ذلك .. وأنا على يقين من أن الشعب المصرى الكريم المؤمن سوف يقف ورائى..

وكان الرئيس كارتر يخشى على الرئيس السادات من متاعب استضافة الشاه وكان يرى أن السادات لديه من المشاكل ما تكفيه وزيادة. وأنه فى عزلة عربية وأن الشاه سوف يضاعف هذه العزلة.

وأزداد تمسك الرئيس السادات بدعوة الشاه إلى مصر، بعد أن تنكر له بعض الملوك والرؤساء العرب وكان الرئيس السادات يصف طائفة شاه إيران بأنها "القبر الطائر"

وفى واشنطن يروى مساعد الرئيس الأمريكى كارتر واسمه هاملتون جوردون فى كتابه الذى صدر منذ أيام " بعنوان الكارثة" بأهم جميعاً : كانوا يعارضون مجيء الشاه إلى أمريكا.

ففى ذلك خطورة مؤكدة على الرهائن الأمريكين، فقد يعدمهم الإمام الخومينى وقد يؤدى ذلك إلى حرب فى الخليج هذه الحرب سوف تهدد المصالح الأمريكية فهل الرئيس السادات يساوى كل هذه المتاعب.. ثم إن الرئيس السادات إذا كان يريد إيواء الشاه، فهو أدرى بمصلحته.

ولكن الرئيس كارتر رفض أن يتحمل الرئيس السادات هذا المزيد من المشاكل.. وطلب الرئيس الأمريكى من مساعديه أن يمهلوه بعض الوقت لكى يفكر. ثم اتصل تليفونيا بالرئيس السادات .. وقد

حضرت هذه المكالمة التليفونية. قال الرئيس السادات: أهلا يا جيمى .. بل كيف حالك أنت .. أنا فى صحة جيدة .. لا .. بل قد دعوت الشاه فعلا إلى الإقامة فى مصر ..إن حالته مؤلمة جدا... و أنا كمسلم و هو شقيق مسلم لابد أن ادعوه إلى مصر... ديننا قد علمنا ذلك .. أبداً .. العفو .. وأنا سوف أتصل بك!

قال لى الرئيس السادات: لم يعجبني أن الرئيس كارتر كان مضطرباً .. إن المسألة بسيطة .. ملك مسلم لا يجد مكانا يموت فيه يا ناس .. هل يتردد أحد فى إيواء هذا الرجل المسكين .. لقد أرسلت إليه أن يبعث بكل سلاح الطيران إلى مصر قبل خروجه من إيران ولكنه لم يأخذ بوجهه نظرى..

ولو فعل لتغير الموقف تماماً .. فالذى يملك سلاح الطيران يملك قوة جبارة لا يمكن أن يقهره أحد..

وفى واشنطن استراح الرئيس الأمريكى إلى قرار الرئيس السادات .

وتعاقب الذئب والحمل !

كانت أول هدية قدمها الرئيس الإسرائيلى اسحاق نافون إلى الرئيس السادات لفة من الورق الطويل جداً موضوعة فى صندوق .. والصندوق ملفوف بقطعة حمراء .. والصندوق اسطوانى . يشبه الصناديق الخشبية التى يضعون فيها التلمود فى المعابد اليهودية، أعطانى الرئيس السادات هذه الهدية لأعرف ما هى. أخذت الصندوق الأسطوانى أعطانى الرئيس السادات هذه الهدية لأعرف ما هى. أخذت الصندوق الأسطوانى وفتحته ووجدت أنه مكتوب بخط فارسى جميل جداً أنها: قصة يوسف عليه السلام فى مصر . وهى القصة التى تبدأ بالإصحاح رقم ٣٩ من سفر "التكوين" حتى نهاية السفر.. كيف جاء يوسف عليه السلام إلى مصر وكيف باعه أخوته إلى رئيس الحرس الملكى . وقصته مع زوجة العزيز وتفسيره للأحلام.

قال لى الرئيس السادات : أنهم يهود يا أختى؟ إنهم اختاروا شيئاً عجيباً اختاروا يوسف بالذات الذى كان وزيراً فى مصر.. كان ومديراً للأمن الغذائى.. إنه مثل كيسنجر .. أول مستشار يهودى للأمن القومى الأمريكى..

أما الذى كتب هذه الأصحاحات بقلمه هو يوسف وهبى .. وهو خطاط مصرى يهودى كان يعمل فى

أخبار اليوم ثم هاجر إلى إسرائيل

والفرق بيننا وبين اليهود فى النظر إلى الهدية مختلف جداً . فالهدية عندهم رمز أما الهدية عندنا فهى شىء ثمين. وأذكر أن موسى ديان وحرمه عند لقاتهما بالرئيس السادات وحرمه قد أتيا بعلبة من الشيكولاتة الشعبية المصنوعة من قشر البرتقال .. والهدايا التى تلقاها الرئيس السادات من الشخصيات اليهودية الكبرى لا تزيد على علب خشبية أو تماثيل نحاسية.. أذكر أننى نشرت خبراً فى مجلة "أكتوبر" عن

تمثال من الذهب الخالص أهدى إلى الرئيس: فاتصل بي الرئيس حسنى مبارك وقال: أن التمثال ليس من الذهب، أنه تمثال من النحاس أو البرونز مطلى بالذهب فقط، وهو صغير جداً.

فقلت للرئيس مبارك: أن السفير الإسرائيلى هو الذى قال لى ذلك

وفى اجتماع الرئيس السادات مع رؤساء التحرير قال لى : التمثال الذى قالوا لك عنه سوف أبعثه لك لتراه .. أنهم لا يبددون أموالهم بهذه السهولة

قلت للرئيس: أن التمثال قد كتبوا عند قاعدته هذه الآية من التوراة: ويوم يتعانق الذئب والحمل..

فقال الرئيس ضاحكاً: إذا حدث ذلك فسوف نقيم للحمل والذئب تمثالاً من الذهب الخالص، وسوف اتكفل بجمع أمواله من العالم كله .. فهذه هى المعجزة الكبرى .. يوم يتعانق اليهود والعرب فى سلام إلى الأبد!

قل للرئيس الحقيقة

فوجئت بالسيدة جيهان السادات فى حالة غضب تقول: قل للرئيس الحقيقة.. لا بد أن يقال له الحقيقة .. أنه لا يعرف الحقيقة .. حرام لا بد أن يقال له ذلك .. أما الحقيقة التى كانت تريدها فهى أن المعلومات التى لدى السادات عن أحداث الفتنة الطائفية كانت قليلة. وأنها لا تتذر بأى خطر .. وأنه من السهل مصالحة الناس بعضهم على بعض .. وينتهى كل شىء.

قال لى السيدة جيهان السادات : حرام أن تترك الرجل بعيداً عن الحقائق .. أن الفتنة الطائفية خطيرة جداً .. أنا أسمع تفاصيلها من مصادر متعددة .. ولكن الرئيس يصدق ما يقال له من أن هناك "شردمة" من الساخطين أو الغاضبين . وأنه ليس أسهل من إلقاء الماء البارد عليهم .. ويهدأ كل شىء فى مصر .. أنهم يضللون الرئيس .. حرام علينا جميعاً.

سألت السيدة جيهان السادات : وأنت أقرب الناس إليه . لماذا لا تقولين له الحقيقة أنه يقبلها منك .. فلن يشك لحظة فى صدقك وإخلاصك ..

قالت : هذا صحيح ولكن الرئيس بشر أيضاً.. أنه سوف يغضب فأنا أنبهه إلى أشياء كثيرة.. ولا بد أنه يضيق بذلك .. وهو معذور . وفى المرة القادمة لن يطبق النظر إلى وجهى أو سماع صوتى..

ثم ضحكت قائلة : سوف يطلقنى لأنى لا أقول له إلا كل ما يضايقه .. ولذلك يجب أن نتعاون - قل له .. لا بد أن تقول له..

وبعد لقاء مع الرئيس السادات استغرق ثلاث ساعات .. سألتني السيدة جيهان أن كنت قد قلت له شيئاً.

والذي حدث أنني قلت للرئيس: سيادة الرئيس أن حوادث الفتنة الطائفية خطيرة ومن الممكن أن تكون أخطر بكثير وليس من المصلحة أن تجعلها صغيرة تافهة لأننا نريد ذلك .. فمن الممكن أن تكون صغيرة لو أننا أخذناها على أنها كبيرة وعالجناها كذلك..

ولم يسترح الرئيس السادات إلى هذا الذي قلت. وانتقل إلى الكلام عن موضوع آخر .. ولكن أعتقد أنه بدأ يفكر .. وكان في نيته أن يمسك سماعة التليفون وأن يطلب أحداً.

ولما سلمت عليه مودعا، والتفت ورائي وجدته قد رفع سماعة التليفون..

زواج أبنته:

طلب مني الضابط الكبير (ج...ج) أن أنقل للرئيس السادات خطابا مفتوحا قرأت ما في الخطاب. ثم قدمته للرئيس فسألني : ما الذي في هذا الخطاب؟

قلت: أنه يطلب مساعدتك المادية يا سيادة الرئيس . فهو يريد أن يزوج إحدى بناته وهو يعلم أنك ساعدت عددا كبيرا من الضباط الأحرار وقد ذكر بعض أسمائهم ويقول أنك ساعدتهم مع أنهم ليسوا في حاجة مادية إلى ذلك. وهو في حاجة مادية..

فظهر الضيق على وجه الرئيس وقال: هذا نموذج لتعاسة بعض الناس. يعني هو يريد مساعدة مادية. وكان من الممكن أن يكتفى بهذا القدر ولكنه يفضح أناسا آخرين ثم يشهر بهم كأنه يريد أن يقول أنني غلطان وسيء التقدير لأنني ساعدتهم وأنا أعرف أنه هو بالذات قد كسب كثيرا في التجارة.. ومع ذلك يتصور أنني لا أعرف ظروفه .. فهو لا يحمد الله على ما أعطاه، وإنما هو يحسد الآخرين على أنني ساعدتهم وأنا أعلم يقينا أنهم في حاجة إلى ذلك، وأنا أعرف أن بعض هؤلاء لا بد أنه تعذب كثيرا لمجرد أنه طلب مني ذلك. فليس سهلا على الرجل الكريم ذي النفس العالية أن يطلب مساعدة من أجل زواج أبنته..

فقلت : سيادة الرئيس ربما أكون قد أسأت تلخيص هذا الخطاب فأرجوك قراءته..

وقرأ الرئيس الخطاب وبدا الإستياء الشديد على وجهه وألقى بالخطاب جانبا وقال : أبدا بل الخطاب أسوأ مما أنتصور كثيرا قل له .. إن الرئيس قرأ الخطاب ويقول لك : عيب .. أرجو ألا تكون قد اطلعت زوجتك أو ابنتك على هذا الخطاب، لأنه اهانة جارحة لكل منهما .. عيب

طلب منى الرئيس السادات أن التقى به فى قصر عابدين بعد أن يكون قد فرغ من حفلة تقديم أوراق عدد من السفراء .. وجلس الرئيس السادات فى مكتب الملك فاروق .. وجلس بعيداً عن المكتب فهو على خلاف الرئيس جمال عبد الناصر فعبد الناصر يجلس مشدوداً وراء المكتب - والسادات يجلس مسترخياً فى غرفة المكتب .. أو بعيداً تحت الأشجار .. وكان يجلس مع السيد حسنى مبارك نائب الرئيس والسيد ممدوح سالم رئيس الوزراء. وبدا السيد ممدوح سالم يقول:

سيادة الرئيس إنه يهاجمنى...

وإندهش الرئيس قائلاً: أبداً إنه يحبك يا أختى..

فضحك السيد ممدوح سالم قائلاً: الحب بسهولة يا سيادة الرئيس وظل الحديث ساعتين. وبعد أن فرغ

الرئيس التقت إلى ممدوح سالم : يا ممدوح ضعه فى السجن .. لقد ارهقنى اليوم .. ضعه فى السجن

وعندما عدت إلى مكنتى اكتشفت أن جهاز التسجيل لم يسجل شيئاً واتصلت بالرئيس تليفونيا فقال:

ماذا جرى؟ قلت : سيادة الرئيس إن خلا أصاب جهاز التسجيل فلم يسجل كلمة واحدة..

فضحك الرئيس قائلاً :

لقد حدث ذلك لأمانة السعيد من قبل . فاضطرت إلى إعادة الحديث ولكن هذه المرة أنا متعب جداً.. أنت اتعبتتى ولا بد أن أضحك فى السجن..أكتب الحديث من الذاكرة وأبعث به إلى قبل أن تنتشره...

وجلست أعصر رأسى .. وأكتب الحديث .. وبعثت به إلى الرلائيس الذى أعاده بعد أن غر كلمة

واحدة ثم قال لى فى التليفون: ما دامت ذاكرتك اقوى من أجهزة التسجيل فلا داعى لها فى المرة القادمة

ولكن اريدك أن تراجع أحد التواريخ .. فأنا قلت إنه كان يوم الإثنين ١٣ ديسمبر .. أعتقد أنه كان يوم

الأربعاء .. لأننى فى ذلك اليوم قابلت جمال عبد الناصر وقال لى : غدا الخميس سوف استريح .. ويوم

الجمعة سوف لا أعمل شيئاً.. ثم إنه لم يكن يوم ١٣ .. كان يوم ١٤ لأن ابنى جمال كان يروى لى نكتة عن

تشاؤم الناس من يوم ١٣ وأنا قلت كان ذلك أمس .. وقد إنكسرت صينية عليها عشرة فناجين قهوة .. إذن

كان يوم ١٤ .. تمام كده ..

.. انفلونزا بالأمر!

لم أكد أصلى إلى بيت الرئيس فى الجزيرة حتى قال لى أحد الضباط: سيادة الرئيس ينتظر فى غرفته فوق..

ودخلت الغرفة فبادرنى الرئيس بقوله: الأنفلونزا هلكتنى .. أقفل الباب وراءك وتعال إلى جوارى لأننى لا أستطيع أن ارفع صوتى ..

وأغلقت الباب وأنا ارتجف من الخوف من الأنفلونزا .. فأنا أنتسب إلى مدرسة الوسوسة التى يتزعمها الموسيقار محمد عبد الوهاب .. وأيقنت أننى سوف أصاب بالأنفلونزا لا محالة .. وتذكرت ما أصابنى يوم تحايلت على لقاء الدلاى لاما فى جبال الهمالايا سنة ١٩٥٩ وكانت الصين قد طردته فلجا إلى الهند ولم أجد وسيلة للقائه إلى أن أدعى المرض. فدخلونى ملفوفا فى سجادة .. وألقوا بى على الأرض. ولم يكد يرانى قداسة الدلاى لاما حتى عطس .. وأصابتنى عطسته المقدسة.. وظلت مريضا فى الهند أسبوعين..

وكان يوم الخميس .. كان لابد أن استمع إلى حديث الرئيس وأسجله وبعد ذلك يتم تقرير الشرائط.. وقراءتها وكتابة الحديث الأسبوعى وكل ذلك سوف يتم عند منتصف ليل الخميس على أن أكتب الحديث صباح الجمعة.

ولابد أن أكون مريضا- هذا لا شك فيه .. ولم يكن فى استطاعتى طبعاً أن أعلن مخاوفى من الأنفلونزا .. ولا أن عدواها مؤكدة .. وقد قدم لى الرئيس الكثير من الشاى . وزاد العرق مع الخوف من التعرض للهواء البارد إذن فالزكام مؤكد وقد حدث لى ذلك مئات المرات..

وخرجت إلى إحدى الصيدليات .. وطلبت حقنة فيتامين جيم ونوفالجين وسوائل للكحة .. ودخلت الفراش الثقيل . وأدخلت رأسى فى طاقية من الصوف وقدمى فى جورب من الصوف ونمت انتظر الأنفلونزا..

وفى الساعة الثانية عشرة اتصل بى الرئيس يطلب بعض العبارات وكتبت الحديث فى صبيحة الجمعة ومع آخر كلمة بدأت أعطس وأسعل أسبوعاً ! وعندما قابلت الرئيس بعد ذلك قال لى : ياخى أنتم الصحفيون تشنعون على بعضكم البعض قالوا لى أنك إذا سمعت عن إنسان مزكوم فإنك تعطس .. مع أننى لم ألاحظ ذلك وقد جلست معى ساعتين وأنا فى شدة الزكام والسعال أعوذ بالله منكم.

أسأل حسن إبراهيم!

انشغل الرئيس السادات وقتاً طويلاً بمعرفة ما الذى كان يقوله السيد جمال سالم للسيد حسن إبراهيم فى مطار العريش قبل ثورة يوليو بأيام..

فقد التقوا ثلاثتهم فى العريش . ولكن جمال سالم انتحى بحسن إبراهيم جانبا ليقول له شيئاً . أى شىء ولكن ظل الرئيس السادات مشغولاً بهذا الذى رآه منذ ٢٥ عاماً فعندما كان يملأ مذكراته ووصل إلى هذه الحادثة طلب منى أن أسأل حسن إبراهيم عن هذا الذى قيل له..

وذهبت إلى السيد حسن إبراهيم أطلب إليه ذلك فقال ضاحكاً: والله لا أعرف لابد أن يكون شيئاً عادياً جداً ثم إن زمناً طويلاً قد مضى!

وعدت إلى الرئيس السادات أقول له : إن حسن إبراهيم يقول إنه لا يذكر شيئاً من ذلك ..

فقال : غريبة !!

فعدت إلى السيد حسن إبراهيم أقول له : إن تعليق الرئيس كان كلمة واحدة غريبة !

فضحك حسن إبراهيم قائلاً : غريبة .. غريبة أن أنسى ذلك .. أو غريبة أن يتذكر هو ذلك؟

وفى إحدى المرات قال لى حسن إبراهيم: عندى حل.. فلكى يستريح الرئيس السادات قل له : إن حسن إبراهيم طلب إلى جمال سالم إذا عاد إلى مصر إلا يفوته مشاهدة فيلم جيلدا بطولة ريتا هوارث وجلين فوردد.. المعروض فى سينما الأزبكية.

ولما قابلت الرئيس السادات نقلت إليه ما قاله حسن إبراهيم.

وظهرت الدهشة على وجهه ثم راح يفكر وقال: يجوز .. ولكن هذا الفيلم لم يكن معروضاً فى الأزبكية وإنما كان فى سينما ديانا .. لقد شاهدته هناك.. نعم فى سينما ديانا.. لا أظن أنهما كانا يتحدثان عن الفيلم .. إذا قابلته حسن إبراهيم : أسأله ما الذى قاله جمال سالم!!

إعجابه بهتلر!

قلت للرئيس : سيادة الرئيس لابد أن نجد رداً على الذى قاله الكاتب الأمريكى اليهودى "سول بيلوف" الحائز على جائزة نوبل فى الأدب..

سألنى ماذا قال؟

قلت صدر له كتاب عن "القدس ذهاباً وإياباً" يقول فيه إنك فى شبابك بعثت بخطاب إلى "واشنطن بوست" تبدى إعجابك الشديد بهتلر .. وأنتك نازى المبادئ، ولست صادقاً فى دعوتك إلى السلام مع اليهود..

ولم يشأ الرئيس أن يعلق على ذلك وظل ساكناً.. فانتقلت إلى موضوع آخر.. ولكن بعد ذلك بسنتين عندما التقى بأساتذة جامعة الإسكندرية عاد إلى الرد على هذا الموضوع فقال: طبعاً أى إنسان كان على استعداد أن يتحالف مع الشيطان إذا كان الشيطان هو الذى سيخرج الإنجليز من مصر، إن تشرشل نفسه تعاون مع ستالين من أجل القضاء على هتلر وبريطانيا هى قاعدته الرأسمالية، وروسيا هى قاعدة الشيوعية..

فمن أجل مصر يجب أن نستخدم كل الأسلحة التى تعجبنا والتى لا تعجب الدنيا كلها..

وكان الرئيس هادئاً منطقياً.. ولكن الرئيس لم يكن كذلك عندما عقد آخر مؤتمر صحفى له فى "ميت أبو الكوم" وكان مصدر غضب الرئيس أن المخابرات المصرية قد ضبطت شريطاً مسجلاً مع الصحفى الإنجليزى دافيد هيرست وهو رجل قد نذر نفسه لمعاداة الرئيس السادات . حتى اضطر الرئيس السادات إلى طرده من مصر . فكانت حرباً معلنة بين الصحفى الإنجليزى والرئيس ...

أما الشريط المسجل فهو يهاجم الرئيس السادات ويقول إنه رجل ممثل بارع.. أو كان يريد أن يكون كذلك. ودعوته للسلام أكذوبة. ودعوته للسلام أكذوبة فهو رجل نازى وفى الشريط هاجمنى أنا أيضاً دافيد هيرست وقال: إننى من أعدى أعداء اليهود فى العالم العربى . ولا تزال هذه الكتب معروضة فى المكتبات لم أغير فيها حرفاً واحداً .. وهذا دليل على أننى لم أغير موقفى رغم السلام ورغم قربى من الرئيس السادات!

وكان الرئيس السادات غاضباً من ذلك وكان غضبه مفاجأة عالمية فقد كانت صورته عند العالم كله إنه رجل هادىء . وإن هدوءه من مظاهر الحكمة وأن الشرق الأوسط يستمد استقراره وكذلك مصر من توازن الرئيس السادات .. إلا هذه المرة!

وقد سألت الرئيس السادات بعد ذلك: سيادة الرئيس لقد كنت عصبياً جداً هذه المرة.. وقد تناقشنا كثيراً فى انفعالاتك العنيفة فى خطبك مما يقلق الناس عليك وعلى مصر.. فكيف تقلق الناس وتريد لهم الأمان..

وكان جوابه: بل لم أكن عصبياً.. أننى منفعل فقط .. والناس يعرفون عنى ذلك ..

ولكنه كان عصبياً جداً..

وقد سألت الرئيس حسنى مبارك فى حديثه نشرته مجلة "أكتوبر" ألم تلاحظ يا سيادة الرئيس أن الزعيم الراحل كان عصبياً جداً فى أيامه الأخيرة وكان رد الرئيس مبارك: أنه لم يكن كذلك كل الوقت.. بل كان فقط عندما يخطب أو يواجه الصحفيين العالميين ... فقد كان غضباً محسوباً..

ولكن فى آخر حديث لرؤساء تحرير الصحف. كان الرئيس السادات هادىء العبارات غاضبا فى بعض الكلمات وبعد أ، فرغ من حديثه المسجل طلبنا إليه أن يحذف بعض الكلمات قبل إذاعتها . ووافق فوراً . إذن فقد أدرك أنه كان غاضبا أكثر مما ينبغى..

وقالت لى السيدة جيهان السادات: رغم أن الرئيس كان هادئاً إلى حد كبير، فإنه عصبى جداً .. ولا تزال المعلومات التى يتلقاها غير صحيحة. وهذا ما يجعلنى أكثر عصبية منه:

حكاية منى عبد الناصر!

حدث كثيراً أن فاجأتنى السيدة منى عبد الناصر كريمة الرئيس جمال عبد الناصر وزوجة د. أشرف مروان بالهجوم العنيف ومحاولة خنقى. ولم أفهم لماذا. فهى كانت تعمل فى قسم أدب الأطفال فى دار المعارف التى انتشرف برئاستها. وفى حفل زفاف ابن السيد فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس السادات قالت لى مداعبة : الآن أريد أن أفتلك!

وهى سيدة لطيفة مرحة ولكن لم أعرف لماذا هذا السلوك فأنا لا أذكر أننى أسأت إليها وأن كنت قد كتبت ضد الرئيس عبد الناصر فلأن الرئيس عبد الناصر شخصية عظيمة من الطبيعى أن يختلف عليها الناس. ثم أن الرئيس عبد الناصر قد فصلنى من عملى رئيساً لتحرير مجلة "الجيل" ومدرسا فى الجامعة. وتشردت أكثر من سنة. ولم يكن لى من مأوى عاطفى سوى بيت الصديقين الكبيرين على أمين ومصطفى أمين وإلا الأمل فى أن يقوم الصديق محمد حسنين هيكل بالسعى لدى الرئيس عبد الناصر باعادتى إلى عملى. وقد فعل..

وفى يوم قابلتها فى بيت الرئيس فى ميت أبو الكوم وفوجئت بها تخفنى فسألها الرئيس: ما هذا؟

قالت: هل يرضيك يا عمى ما يفعله بى . فقد سألته سؤالا كان جوابه مؤلما!

هنا فقط أدركت حقيقة ما حدث. فقد سألتنى السيدة منى عبد الناصر: هل كل الذى استطعت أن تفعله وأنت رئيس دار المعارف أن تصدر مجلة أسمها "أكتوبر" ..

فرددت عليها: فهل كان من الممكن أن أصدر مجلة أسمها "يونيو"؟! فصرخ الرئيس السادات قائلاً :

أعوذ بالله .. أنت تلميذ العقاد .. ولسانك طويل مثله .. أعوذ بالله!

ونحن نتمشى بعد ذلك قال لى الرئيس السادات: أعوذ بالله .. والله أنا لا أستطيع أن أقول عبارة

كهذه!

ثم اتصلت بي السيدة جيهان السادات تليفونياً وقالت لي : أن منى عبد الناصر قد تضايقت من الذى حدث فى حضور الرئيس.. وهى تريد أن تعتذر لك ..

وفى الليل اتصل بي الرئيس السادات يستوضحنى بعض ما قاله لى . وقيل أن ينتهى الحديث سألتى ضاحكاً: أنت قلت ماذا لإبنتى منى؟

فأعدت عليه ما قلت: فراح يضحك ويقول: أعوذ بالله - أعوذ بالله هذا شىء فظيع . تصبح على خير!

الغلطة الأولى!؟

كنت الصحفى الوحيد الذى رافق الرئيس السادات إلى مؤتمر الرياض. وفى الرياض لى أصدقاء كثيرون من الأمراء والرسميين السعوديين وأعتز كثيراً وعميقاً بهذه الصداقة التى هى أعظم ما يهبنا الله فى هذه الحياة لأن ألف صديق ليس كثيراً ولكن عدواً واحداً كثيراً جداً وعندما خرج الرئيس من أحد الاجتماعات سألتى الأمير سلمان أمير الرياض : نريد أن نعرف من فخامة الرئيس ما هى غلطته الأولى.

وسمعه الرئيس فاستوضح فقلت له سيادة الرئيس السادات أن سمو الأمير سلمان يريد أن يعرف

الغلطة الأولى

فقال: أية غلطة؟

قلت : فى مذكراتك المنشورة فى "أكتوبر" هذا الأسبوع تقول أنك ارتكبت غلطين فى حياتك .. ثم

اكتفيت بذكر واحدة..

وضحك الرئيس ولم يقل وأدرك الأمير سلمان أن الرئيس لا يريد

أن يذكر هذه الغلطة وكان الرئيس السادات قد قال فى مذكراته أنه ارتكب غلطين فى حياته : الغلطة الأولى ولم يشأ أن يذكرها أما الغلطة الثانية فهى أنه عندما أجريت القرعة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة على شكل الحكم فكتب كل واحد منهم ورقة . كلهم قالوا: نريد حكماً ديمقراطياً إلا السادات فكتب نريد حكماً "دكتورياً" وغضب جمال عبد الناصر من ذلك مع أن الرئيس عبد الناصر لم يفعل غير ذلك ومع أن السادات قد حكم ديمقراطياً وقام بتعدد الأحزاب المعارضة له ولسياسته...

قال لى الرئيس السادات: لم يغضب جمال عبد الناصر لأننى قلت شيئاً يخالف ما يريده هو تماماً..

وإنما لأننى فضحت رغبة عميقة عنده .. فكأننى كشفت ورقة قد غطاها أثناء لعبته السياسية ..

أما الغلطة الأولى فقد همست فى أذن الأمير سلمان بها وهنا تغير وجه الأمير وقال : معه حق:
فليس من اللائق نشر شىء كهذا..

وسألتى الرئيس السادات فى الطائرة: هل ذكرت للأمير سلمان الغلطة؟

قلت : نعم

سألتى : وماذا كان رأيه؟

قلت : قال أن الحق معك .. فليس هذا ما يقال..

www.anwarsadat.org